سلسلة رسائل

مفاهيم يجب أن توضح

٢

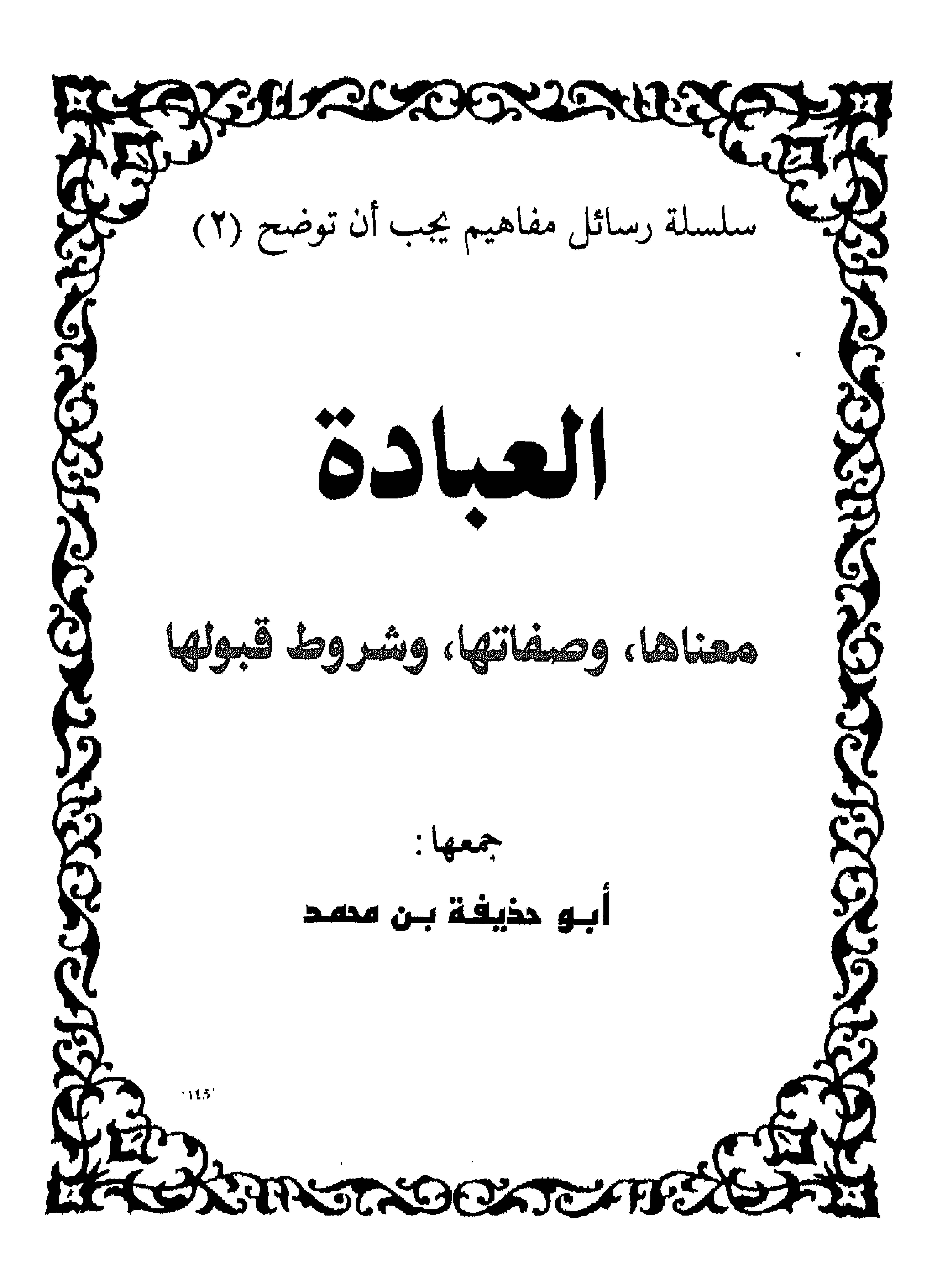
العبادة

معناها وصفتها وشروط قبولها

جمعها:

أبو حذيفة بن محمد

دار ابن المبارك للنشر والتوزيع



سلسلة رسائل مفاهيم يجب أن توضح (٢)

العبادة

معناها، وصفاتها، وشروط قبولها

جمعها :

أبو حذيفة بن محمد

الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

دار ابن المبارك للنشر والتوزيع
الخبر - الرمز البريدي ٣١٩٥٢
ص.ب ٣٤٢٢ - هاتف : ٨٩٤٠٢٢٨

الجمع التصويري والإخراج - الفرقان ٤٠٢٩٨٦٥ - ٤٠٤٣٧٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد . . .

فإن مما ابتُلِيَت به الأمة في هذا الزمان . . انقلاب الموازين ، وتغيّر المعاني والمفاهيم ، وارتكاس القيم والأفكار . . حتى أمسى الفسادُ والرذيلةُ تقدماً وحضارة ، والكذبُ والخديعةُ ذكاءً ودبلوماسيةً ، والانحلالُ حريةً ، والربا فائدةً ، والخمرُ مشروباتٍ روحيةً . . . و . . . و . . . .

وأصبح التمسك بشرع الله عز وجل تأخراً ورجعية ، والعفة والطهارة جموداً وعبودية ، والصدق سذاجة ، والكرم غباوة . . . و . . . و . . . .

وصاحَبَ ذلك في المقابل جَهْلٌ مطبِقٌ بالمعاني والمصطلحات التي جاء بها الإسلام . . ووُجِدَ مَنْ ينتسب للإسلام أباً عن جد ، ولكنه لايعرف من الدين إلا الاسم ، ولا من معالمه إلا الرسم ! .

وارتبطت كلمات: الدين، والإسلام، والعبادة، والشريعة، والقرآن، وغيرها في أذهان كثير من الناس؛ ارتبطت بالمسبحة، والجُبّة، وسَجّادة الصلاة.. بينما كانت هذه الأسماء في الماضي تثير في نفوس الأجداد همّةَ الجهاد، والعمل، والدعوة، والحركة، والإعداد، والغَيْرة، والقوة، والشهامة.. ومعانيَ كثيرةً طُمست في هذه الأزمان.

لأجل ذلك قمنا بنشر هذه السلسلة التي تكاد - بإذن الله تعالى - تُحيط بكل مصطلح من المصطلحات الهامة،، إحاطة تكاد تكون شاملة، يُركّز فيها على الأهم فالأهم، وماذلك إلا:

تذكيراً للمؤمنين،
وتبليغاً للجاهلين،
وتنبيهاً للغافلين،
وتحذيراً للمعرضين،
وإقامةً للحجة على المعاندين،
ومعذرةً إلى الله رب العالمين..

أسأل الله تعالى أن ينفع بها كاتِبَها وقارئها، ويجعلها في ميزاني يوم القيامة . .

أبو حذيفـــة

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ. لَاشَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾. [سورة الأنعام، الآيات: ١٦١ - ١٦٣].

العبـــادة

العبـادة هي أصل الدين، فمِنْ أجلها خلق الله ـ عز وجل ـ الجن والإنس. قال ـ تعالى ـ:

﴿وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٥٦].

وتوحيدُ العبادة لله ـ عز وجل ـ واجتنابُ عبادة ماسواه؛ كانـا هما الغـاية من بعث الـرسـل، صلوات الله عليهم أجمعين، قال ـ تعالى ـ:

﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾. [سورة النحل، من الآية: ٣٦].

وهـــذه الغـاية كانت هي السبب في نزاع الـرسـل مع أقـوامهم، ومن أجلها يفترق الناس إلى فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير.

وهي أصل الإسلام، فمعنىٰ «لا إلـه إلا الله»: أي لا معبود بحقٍّ إلا الله، وهذا المعنىٰ هو الدين القيم الذي قد

غَفلَ عنه كثير من الناس. قال ـ تعالى ـ:

﴿ أَمَرَ ألا تعبدوا إلا إيّاه، ذلك الدِّين القيّم، ولكنّ أكثر الناس لايعلمون﴾. [سورة يوسف، من الآية: ٤٠].

لذا ينبغي على كل من يريد الفوزَ بالجنة والنجاةَ من النار، أنْ يَعرِفَ معناها وصفاتها وشروط قبولها.



معنى العبادة

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «العبادة هي طاعة الله ـ تعالى ـ بامتثال ماأمر به على ألْسِنَة الرّسُل».

ويقول أيضاً: «العبادة اسم جامع لكل مايُحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة».

ويقول ابن كثير: «العبادة في اللغة: الذِّلَّة، يقال طريق مُعبَّد وغير مُعبّد أي: مُذَلّل، وفي الشرْع، عبارة عمّا يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف».

وقال القرطبي: «أصل العبادة: التذلُّل والخضوع. وسمّيت وظائف الشرع: عبادات لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى».

فمِنْ هذه الأقوال تَعْلَم أنّ للعبادة معنىً واسعاً يشمل أموراً ومسائلَ كثيرةً، ويتّضح لك أنّ فهم كثير من أهل زماننا لمعنىٰ العبادة هو فَهم ناقص قاصر مبتور، فَهُمْ في الغالب يَقْصرون معناها على السجود والركوع والصيام والحج وغير

ذلك من الشعائر التعبديّة، وما هذا كله إلا قسم واحد من أقسام العبادة.

وخلاصة القول: إنّ للعبادة في اللغة وفي الشرع ثلاثةَ معانٍ:

١ ـ الذلّة والخضوع.
٢ ـ الطاعة والانقياد.
٣ ـ التنسّك والتّألُّه(١).

وقد تأتي العبادة في القرآن، ويراد بها أحد هذه المعاني الثلاثة منفرداً، أو اثنين معاً، أو تشمل جميع هذه المعاني.

---

(١) ويظهر لك ذلك واضحاً جلياً، إذا راجعت كلمة (عبد) في لغة العرب.. ذلك أن (الذلة والخضوع) هي أول مايتبادر إلى ذِهن العربي عند سماعه لهذه الكلمة.. وبالتالي (الطاعة والانقياد) فإنها من مستلزمات ذلك المعنىٰ.. ثم ـ وأعلىٰ درجة من ذلك ـ أنْ يُحوِّل العبدُ شكرَه واعترافه بأفضال سيده عليه، إلى حركات وأعمال يعبّر فيها عن ذلك، كأن يقبل يديه وربما رجليه وينحني له، حتى يصل به الحال إلى أن يركع له ويسجد ويتنسك، وربما اعتقد أن رزقه ونفعه وضره بيد سيده، فذلك من (التألّه والتنسّك).

ولتوضيح ذلك إليك مايلي:

* تأتي العبادة مثلاً في القرآن ويراد بها (الطاعة والانقياد) وهو المعنىٰ الثاني منفرداً. ومثال ذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنّه لكم عَدُوٌّ مُبين﴾. [سورة يس، الآية: ٦٠].

فالمقصود بعبادة الشيطان هنا ليس هو أداء الشعائر التعبديّة مِنْ سجود وركوع وطواف وغيرها، وإنما المقصود بعبادته: طاعته واتباعه ومتابعة مايوحيه ويُمليه على أوليائه.

وهذا المعنىٰ من معاني العبادة (الطاعة والانقياد) لايكون في كل الأحوال شركاً أكبر مُخْرجاً مِنَ الملة، وإنما هو على قسمين:

القسم الأول: طاعة في معصية الله ـ عز وجل ـ «بدون استحلال للمعصية»: كأن يُزيّن له الشيطان الزنا فيُطيعهٰ، أو أن يأمره سيّده بشرب الخمر فيطيعه، أو يأمره رئيسه بحلق اللحية فيطيعه، وهو يعتقد أنّ ذلك حرام.. فهذه الطاعة يشملها لفظ العبادة، ويُسمى فاعلها (عابداً للشيطان)، أي مْتّبعاً له، ولكن ليس ذلك بشرك مخرج من الملة، وإنما هو

محرم، وقد حذّر النبي، ﷺ، مِنْه أشَدّ التحذير، فقال: «لاطاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف». .

[رواه مسلم].

القسم الثاني: طاعة في الحكم والتشريع، أي في «التحليل والتحريم»: وهذا لايجوز صَرْفه لغير الله ـ عز وجل ـ، فإن صُرِف، فهو شرك أكبر، لأنّ الحكم والتشريع لاينبغيان إلا لله الواحد القهّار، قال ـ عز وجل ـ: ﴿ولايشرك في حكمه أحداً﴾. [سورة الكهف، من الآية: ٢٦].

وقال ـ تعالى ـ أيضاً: ﴿إن الحكم إلا لله﴾.

[سورة يوسف، من الآية: ٤٠].

فالحكم والتشريع من أخصّ خصائص الألوهية، ولذا كان من معاني كلمة الإله: المشرّع، ومن أسماء الله الحسنىٰ: الحَكَم والحكيم، وعلى ذلك، فإنّ مَنْ شرَّع أو فَرَضَ تشريعاً وحُكْماً غير حُكْم الله ـ عز وجل ـ فقد نَسَبَ إلى نفسه صفة من صفات الألوهية، وكان بذلك مِثْلَ فرعون حين قال:

﴿ماعلمتُ لكم من إلـه غيري﴾ .

[سورة القصص، من الآية : ٣٨] .

والأدلة على أن مجرّد الطاعة والاتباع لغير الله ـ عز وجل ـ في الحكم والتشريع تعتبر شركاً ؛ كثيرة، منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإنْ أطعتموهم إنّكم لمشركون﴾ . [سورة الأنعام، الآية : ١٢١] .

فكانت طاعة أولياء الشيطان هنا شركاً وعبادةً لغير الله ـ عز وجل ـ لأنها طاعة في الحكم والتشريع ، أي في التحليل والتحريم الَّلذَيْن لاينبغيان إلا لله ـ عز وجل ـ. وذلك كما روى الحاكم وغيره بسند صحيح عن ابن عباس، أنّ أناساً من المشركين كانوا يجادلون المسلمين في مسألة الذبح وتحريم المَيْتَة فيقولون : «تأكلون مما قتلتم، ولاتأكلون مما قتل الله ـ يعني الميتة»، فقال الله ـ تعالى ـ: ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ . فكانت مجرّد الطاعة في مثل هذه الأمور تعتبر شركاً، يقول ابن كثير: أي حيث عَدلْتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قولِ غيره فقدّمتم عليه غيره فهذا هو الشرك. ا هـ.

لذلك فإنّ من أطاع العلماء أو الأمراء أو الحكّام في تحريم ماأحلّ الله أو تحليل ماحرّم الله في فتاويهم، أو قوانينهم التي يحكمون بها العباد، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله، وكان بذلك مُشركاً، ويدل على ذلك أيضاً قول الله ـ تعالى ـ عن أهل الكتاب:

﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾.

[سورة التوبة، من الآية: ٣١].

واتخاذُ الأحبار والرهبان أرباباً، لايُقْصَد به هنا السجود والركوع لهم، وإنما ذلك بطاعتهم في الحكم، والتشريع، والتحليل، والتحريم، لأنّ هذه الطاعة عبادة كالركوع والسجود لاتجوز إلا لله ـ عز وجل ـ، لذلك أنكر الله ـ تعالى ـ عليهم ذلك في تَتِمَّةِ الآية فقال ـ عز وجل ـ:

﴿وماأمروا إلا ليعبدوا إلـهاً واحداً لا إلـه إلا هو سبحانه عمّا يشركون﴾، وقال ـ سبحانه وتعالى ـ أيضاً عن أمثال هؤلاء الذين يطيعون ويتبعون غير تشريعه:

﴿أمْ لهم شركاء شرَعَوا لَهم من الدين مالم يأذن به الله،

ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم، وإن الظالمين لهم عذاب أليم﴾. [سورة الشورى، الآية: ٢١].

... فاحذر ذلك جيداً رحمنا الله - تعالى - وإيّاك، فقد هَلَكَ بسببِهِ كثير من أهل زماننا(١).

* وتأتي العبادة أيضاً ويُراد بها المعنيان الأوّل والثاني معًا وهما:

[الذلّة والخضوع] مع [الطاعة والانقياد]. ومثال ذلك في

(١) ويدخل في هذا الفرع أيضاً الحكام الذين يزعمون الإسلام، ويحكمون بقوانين اليهود والنصارى، فهم مشركون أيضاً، وإنْ لم يُقننوا هم بأنفسهم فيحرِّموا ماأحل الله أو يُحلِّوا ماحرّم الله، لأن مجرد طاعتهم لليهود والنصارى في تحكيم قوانينهم (التي فيها استحلال الحرام وتحريم الحلال) بدلاً من حكم الله؛ تعتبر شركاً أكبر: «أي عبادة لغير الله عز وجل»، فأولئك المشركون العرب كانوا يجادلون المسلمين في حكم واحد من أحكام الإسلام وهو الذبح، فسمى الله عز وجل طاعتهم واتباعهم لذلك الأمر شركاً، فكيف بمن اتبع اليهود والنصارى وأطاعهم بتحكيم قوانينهم وأحكامهم كلّها، ونَبذ حُكم الله كلـه؟؟؟؟

لُغَةِ العَرَب أنْ يُقال: بَعِير مُعبَّد: أيْ: مُذلَّل سَلِسٌ سَهْلُ الانقيادِ.

ويأبىٰ الأحرار الموحّدون أنْ يفعلوا ذلك لغير ربّهم.

أمّا في القرآن فمثاله قوله ـ تعالى ـ:

﴿ثم أرسلنا موسىٰ وأخاه هارون بآياتنا وسلطانٍ مبين إلى فرعون ومَلَئِهِ فاستكبروا وكانوا قوماً عالين. فقالوا أنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾.

[سورة المؤمنون، الآيات: ٤٥ ـ ٤٧].

فالعبادة هنا لاتعني أداء الشعائر التعبدية كالرّكوع والسّجود وغيرهما، وإنما تَعْنِي: [الذلّة والخضوع] مع [الطاعة والانقياد] التام.

قال الطبري: ﴿لنا عابدون﴾: أي مطيعون متذلّلون، يأتمرون بأمرنا ويدينون لنا، والعرب تسمي كلّ من دانَ للمَلِك عابداً له. اهـ.

وفرعون كان يعبِّد بني إسرائيل، ويسومهم سوء العذاب، ويَنْشُر بينهم إرهابه بالتقتيل والتفريق، لكي

يَخضعوا لسلطانه، ويُذْعِنُوا ويَنْقادوا لحكومته وتشريعه وقانونه الذي يفرضه على العباد فرضاً، ليخضعوا لبنوده وشروطه، بل ويفرض العقوباتِ لمن تُسوِّل له نفسه الخروجَ عليه أو رفضَه.. وهذا الذُّل والخضوع والانقياد من معاني العبادة التي لاتجوز لغير الله ـ عز وجل ـ لذا قال له موسىٰ كما أخبر الله ـ تعالى ـ:

﴿وتلك نعمةٌ تمنُّها عليَّ أنْ عبّدتَ بني إسرائيل﴾.

[سورة الشعراء، الآية: ٢٢].

وقد كانوا بالفعل عبيداً لفرعون بطاعتهم وخضوعهم المُطلق، فتراهم منقادين له، خاضعين لكل مايقرره من قرارات وأوامر وأحكام، يقودهم يميناً فيذهبون، وشمالاً فيذهبون، يَسْخر من القيم والأخلاق بتصريحاته، وبوسائل إعلامه، ويَنْبُذ العقائد فينادي بأعلىٰ صوته: ﴿ماعلمت لكم من إلـه غيري﴾. [سورة القصص، الآية: ٣٨].

أي: ليس لكم من معبود مطاع مشرّع غيري ودستوري وقانوني هو الحاكم ولاتشريع سواه.. فتجدهم برغم ذلك

كلّه يَنقـادون ويُذعنون بَلْ ويصفقون له، ويهتفون بعزته، ويتملّقون له، فذلك من أحَطِّ درجات العبودية لغير الله ـ عز وجـل ـ، لذلـك وَصَفَ الله ـ سبحـانه وتعالى ـ هؤلاء الأقوام بالخفّة والسّفاهة والفِسْق، فقال ـ تعالى ـ:

﴿فاستَخَفّ قومَه فأطاعوه إنّهم كانوا قوماً فاسقين﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٥٤].

. . فاحذر ثم احذر أن تكون من القوم الفاسقين.

* وتأتي العبادة أيضاً ويُراد بها المعنىٰ الثالث: وهو «التنسّك والتّألّه»، وذلك على وجهين:

١ ـ فإما أنْ يكون بصورة أداء الشعائر التعبديّة كالركوع والسجـود والـطواف والـذبـح وغيرها. . فكل ذلك عبادة لايجوز صرفها لغير الله ـ عز وجل ـ لا لقبر ولا لضريح أو ولي أو نبي. . «وكثـير من النـاس يعرفون هذا المعنىٰ ويظنّونه المعنىٰ الوحيد للعبادة ويجهلون بقية المعاني».

٢ ـ أو أن يعتقد الإنسان أنّ لأحد ما سيطرة على نظام الأسباب في هذا العالم فيخافه ويراقبه، أو يدعوه في حاجته ولنصرتـه، ويستغيث به في ضُرّه، وعنـد نزول الأهـوال،

ونقص الأنفس والأموال، ويستجير به ويرجوه، ويعوذ به مما يخاف ويخشى.

فقومُ إبراهيمَ مثلاً كانوا يدعون غير الله ـ عز وجل ـ فسمّىٰ الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذلك: عبادة، قال ـ تعالى ـ مخبراً عن إبراهيم: ﴿وأعتزلكم وماتدعون من دون الله. . . ﴾. ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله. . ﴾. ولذا جاء في الحديث «الدعاء هو العبادة». رواه الإمام أحمد، وهو صحيح.

وكان مشركو العرب يستعيذون ويستجيرون بالجن، لخوفهم منهم فأنكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليهم ذلك لأنّه عبادة لايجوز صرفها لغير الله ـ عز وجل ـ، كما قال تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجالٍ من الجنّ فزادوهم رَهَقاً﴾. [سورة الجن، الآية: ٦].

ومثله في زماننا: تعظيم الرؤساء والسادة والقادة بالاعتقاد بأن الرزق زيادةً ونقصاناً بأيديهم، وخوفهم حتى يتغلغل ذلك الخوف الدائم إلى القلوب، فيراقبهم الناس ويحسبون حسابهم في حضرتهم وغيابهم، ويُقَدّمون أوامرهم على أوامر

جبــار السمــوات والأرض، فيخـافـونهم سراً وعـلانية، ويخشونهم أشد من خشية الله ـ عز وجل ـ. ورسول الله، ﷺ، يوصي كل واحد منا ويقول له: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لَمْ ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يَضرّوك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبـه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصُحف**». رواه الإمام أحمد وغيره، وهو صحيح.

وبعـد.. فهـذه معـاني العبـادة قد عرفتهـا، فاحرص ـ يرحمنا الله تعالى وإياك ـ أنْ تُوَحّدها كلها لله ـ عز وجل ـ:

فلا تذِلَّ ولا تخضعْ لسواه ـ ولاتطع ولا تَتّبعْ غير تشريعه ـ ولا تسجد وتركع ولا تدعو أو تتنسّكْ لأحد غيره.

قال ـ تعالى ـ:

﴿**إنني أنا الله لا إلـه إلا أنا فاعبدني**﴾.

[سورة طه، من الآية: ١٤].

فأمـرنا الله ـ عز وجل ـ أن نعبده، بكل ماتحويه كلمة

العبادة من معاني: (الذل والخضوع) و (الطاعة والانقياد) و (التنسّك والتألّه).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قل إنّ صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لاشريك له وبذلك أُمرت وأنا أوّل المسلمين﴾. [سورة الانعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣].

.. فكن من أهل التوحيد، ولا تُشرك بعبادة ربِّك أحداً، فذلك حَقّ الله عليك، إنْ أدّيتَه؛ كان وعَداً على الله ـ عز وجل ـ أن يدخلك الجنة بغير عذاب، قال رسول الله، ﷺ: «حقّ الله على العباد أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يُعذّب مَنْ لايُشْرِك به شيئاً». [رواه البخاري ومسلم].

وإليك صفات العبادة وشروط قبولها...



صفات العبادة الصحيحة

ينبغي للعبادة كي تكون على الوجه الذي طلبه الله منّا، أنْ يَصْحَبها ثلاثة أمور. . . وهي:

الحب، والخوف، والرّجاء.

* فنعبده ـ سبحانه وتعالى ـ حباً فيه:

قال ـ تعالى ـ: ﴿والذين آمنوا أشدّ حباً لله﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٦٥].

وقال ـ تعالى ـ أيضاً: ﴿فسوف يأتي الله بقومٍ يحبّهم ويحبونه. . .﴾ الآية.

[سورة المائدة، الآية: ٥٤].

ومحبة الله ـ عز وجل ـ تستلزم اتباع شرعه قال ـ تعالى ـ:

﴿قل إنْ كُنتم تحبّون الله فاتّبعون يُحببكم الله﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٣١].

ـ ومَحَبّته ـ سبحانه وتعالى ـ تستلزم تقديم أمره على الدنيا ومافيها، قال رسول الله، ﷺ: «ثلاثٌ مَن كُنّ فيه وَجَدَ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، . . ». الحديث

[رواه البخاري ومسلم].

قال بعض السلف: «وأصل العبادة تتضمّن غاية المحبة بغاية الذل ولايَصْلح ذلك إلا لله ـ عز وجل ـ وحده». فإن صُرِف لغير الله ـ عز وجل ـ كان شركاً، قال ـ تعالى ـ:

﴿ومِنَ الناس مَنْ يَتّخذ مِنْ دون الله أنداداً يُحِبّونهم كَحُبِّ الله﴾. [سورة البقرة، الآية: ١٦٥].

وذلك كَمَنْ يُحِبّون المغنين والممثلين أكثر من حب الله ورسوله، وعلامة ذلك: التّعلق بهم أكثر من التعلّق بأوامر الله ـ عز وجل ـ. وكَمَنْ يُحِبّون الطواغيت من الحكّام وغيرهم فيقدّمون أوامرَهم وزُبالاتِ أفهامهم على حُكم الواحد القهّار، ويتغنّون بمَدْحِهم، ويفتخرون بعبوديّتهم لهم.. فإيّاك ثم إيّاك أنْ تكون من هؤلاء، فتخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

ولا يكفي أنْ تَعْبُد الله ـ عز وجل ـ بالحب وحده دون أنْ تصْحبه بالخوف والرجاء معاً، فما ضَلّ مِنَ ضَلّ من المتصوفة إلا حين زعموا أنّهم أحباب الله، يعبدونه حباً فيه فقط وليس خوفاً من عقابه ولا رجاءً ورغبةً في مغفرته وثوابه، فكان ذلك من أعظم أسباب ضلالهم وانحرافهم، لأنهم خالفوا أمر الله

ـ عز وجل ـ حيث أمرنا أن نعبده بالخوف والرجاء معاً، فقال: ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾. [سورة الأعراف، الآية: ٥٦].

أما الخوف:

فلقوله تعالى:

﴿وأمّا مَنْ خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوىٰ فإنّ الجنة هي المأوىٰ﴾. [سورة النازعات، الآيتان: ٤٠، ٤١].

وقال ـ تعالى ـ أيضاً:

﴿ولِمَنْ خاف مقام ربّه جنّتان﴾. [سورة الرحمن، الآية: ٤٦].

وقال ـ عز وجل ـ أيضاً:

﴿ذلك لِمَنْ خاف مقامي وخاف وعيد﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ١٤].

وقال سبحانه:

﴿فلا تخافوهم وخافونِ إنْ كنتم مؤمنين﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٧٥].

ولايكفي الخوف منفرداً وَحْدَه لتستقيم العبادة، بل لابد من الحب والرجاء معه، فبعض الخوارج كانوا من أشَدّ الناس خوفاً لله ـ عز وجل ـ، ولذا كانوا قليلاً من الليل

مايهجعـون، ولكنهم مع ذلك ضَلّوا الطريق، لأنّ الخوف وحده لايكفي لسلوك الصراط المستقيم، ألا ترى أن إبليس كان يزعم الخوف من الله ـ عز وجل ـ. قال ـ تعالى ـ عنه:

﴿كمَثَل الشيطان إذْ قال للإنسان اكفُرْ، فَلَمّا كَفَر قال إنّي بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾.

[سورة الحشر، الآية: ١٦].

وقال ـ تعالى ـ عنه أيضاً: ﴿فَلَمّا تراءت الفئتان نَكَصَ على عقبيـه وقال إني بريء منكم إني أرىٰ مالا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾. [سورة الأنفال، الآية: ٤٨].

فهو ـ لعنه الله ـ يَعْلَم أنّ الله رب العالمين، وأنه شديد العقاب، وقد يتذكّر ذلك أحياناً فيخافه، ولكن ذلك الخوف المؤقّت والمزعوم ـ المجرّد من العبادة المصحوبة بالحب والرجاء أيضـاً ـ لم يُنقذه من عقاب الله ـ عز وجل ـ، لأنه لايدفع للطاعة، ولايمنع من المعصية، فبقيت لعنة الله عليه إلى يوم الدين.

فينبغي ـ إذن ـ أن نعبده سبحانه وتعالى أيضاً رجاءً ورغبةً وطمعاً في مغفرته وجنته، قال ـ تعالى ـ في وصف المؤمنين:

﴿أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢١٨].

وقال ـ تعالى ـ أيضاً ـ مخاطباً المؤمنين بصفة الرّجاء التي يتميّزون بها عن الكفّار: ﴿وتَرْجون من الله مالا يرجون﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٠٤].

ولاتستقيم عبادة الله ـ عز وجل ـ بالرّجاء وحده دون الخوف والحب أيضاً، فما ضَلّ مَنْ ضَلّ مِنَ المرجئة إلا بإفراطهم بالاعتماد على الرجاء وحده. وأتباعهم في هذا الزمان كثير، يتضمّخون بأنواع الشرك والعصيان وإن أمَرْتَهم بمعروفٍ أو نَهَيْتَهم عن منكر، سَرَدوا لك مايحفظونه مِن سَعَةِ رحمة الله ـ عز وجل ـ وأنه هو الغفور الرحيم. وهكذا يعصون ويفجرون راجين رحمة الله ـ عز وجل ـ دون أن يخافوه فينتهوا عما نهاهم عنه، ودون أن يحبوه فيتّبعوا شرعه.. والله ـ عز وجل ـ عندما وصف نفسه لم يذكر الرحمة فقط بل قال ـ عز وجل ـ:

﴿نَبّىء عبادي أنّي أنا الغفور الرحيم * وأنّ عذابي هو العذاب الأليم﴾. [سورة الحجر، الآيتان: ٤٩، ٥٠].

وقال ـ تعالى ـ أيضاً:

﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إلـه إلا هو إليه المصير﴾. [سورة غافر، الآية: ٣].

فالخوف والرجاء صفتان متلازمتان، ينبغي أنْ لا يطغىٰ أحدهما على الآخر، فهما نقيضان عند العبادة، إذا استويا استقامت عبادتهم، وإذا رَجَحَ أحدهما اختل الآخر. والله ـ عز وجل ـ حين وصف عباده المؤمنين بَيَّنَ أنَّ حالهم «وَسَطٌ» بين الخوف والرجاء فقال ـ تعالى ـ: ﴿يرجون رحمته ويخافون عذابه إنّ عذاب ربّك كان محذوراً﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٥٧].

وقال ـ تعالى ـ عنهم أيضاً: ﴿تَتَجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٦].

أي: خوفاً من عقابه، ورجاءً وطمعاً في مغفرته وثوابه، حتى يكون الخوف والرجاء للإنسان كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامته، وإن انفرد أحدهما هَلَكَ الإنسان.

فهـذا هو الحب، والخوف، والرجاء. . لاتَكْملُ عبادةُ عابدٍ وتكونُ كما طلب الله ـ عز وجل ـ إلا باجتماعها كُلّها، وما ضلَّ أكثرُ مَنْ ضَلّ مِنَ الفِرق إلا لإخلالهم في هذه الصفات. . ولذا قال مَن قال مِن السّلَف: مَنْ عَبَدَ بالحب وَحْده فهو زِنْديق، ومنْ عَبدَ بالرّجاء وَحْدَه فهو مُرْجِىء، ومنْ عَبدَ بالخوف وحدَه فهو حَرورِي، ومنْ عَبَد بالحب والخوف والرجاء فهو مُوحِّد. اهـ.

وينبغي أنْ لاتُصْرف هذه الثلاثة لغير رب العالمين. . فلا تحب شيئاً كَحُبّ الله، ولاتخشىٰ أحداً كَخَشية الله، ولاترجو في عبادتك غير الله ـ عز وجل ـ. وإلا. . فالنار. . النار.



شروط قبول العبادة

أما شروط قبول العبادة . . فثلاثة :
الإيمان، والإخلاص، والاتِّباع .
ولاتُقبل عبادة عابد إلا بتوافرها كلها مجتمعة :

* أمـا الإيمان : فهـو كما في حديث جبريل في صحـيح مسلم : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره .

وهو: تصديقٌ بالجنان، وقولٌ باللسان، وعَملٌ بالأركان . . .

وهو شرطٌ في قبول العبادة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لانضيع أجر من أحسن عملاً﴾. [سورة الكهف، الآية: ٣٠].

وقال ـ تعالى ـ أيضاً : ﴿مَنْ عَمِلَ صالحاً مِنْ ذكرٍ أو أنثىٰ وهـو مؤمن فأولئـك يَدْخلون الجنـة يرزقـون فيهـا بغـير حساب﴾. [سورة غافر، الآية: ٤٠]. فكان الإيمان قيداً لذلك .

أمّا غير المؤمنين، فلا تقبل عبادتهم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وقَدِمْنا إلى ماعملوا مِن عملٍ فجعلناه هباءً منثوراً﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٢٣].

وقال ـ تعالى ـ عن عبادتهم: ﴿أعمالُهم كسرابٍ بِقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾.

[سورة النور، الآية: ٣٩].

وقال أيضاً: ﴿أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريحُ في يومٍ عاصف﴾. [سورة إبراهيم، الآية: ١٨].

* والإخلاص: هو معنىً من معاني شهادة أن لا إلـه إلا الله، بأن تكون عبادتك خالصةً لله ـ عز وجل ـ، فلا يكفي الإيمان بدون الإخلاص لقبول العبادة بل ينبغي أن يكون العمل إيماناً خالصاً لله ـ عز وجل ـ لاشركَ فيه لغيره، قال ـ تعالى ـ: ﴿الذين آمنوا ولم يلبِسوا إيمانهم بظلمٍ أولئك لهم الأمْن وهُم مُهتدون﴾. [سورة الأنعام، الآية: ٨٢].

والظّلم هنا: الشّرك، فاشترط الله ـ عز وجل ـ لكمال الإيمان الذي يُعطي صاحبه الأمن والهداية: نظافته من الشرك، وهذا هو الإخلاص الذي ينبغي توفره في العبادة

لأجـل قبـولهـا، وذلك بأن لا يُبتغَى بالعبادة غير الله ـ عز وجل ـ، لا مَنْصباً ولا رِفعة أو مكانة في صدور الناس، قال ـ تعالى ـ: ﴿وماأُمِروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾.

[سورة البينة، الآية: ٥].

وقال ـ عز وجل ـ أيضاً: ﴿قل إني أُمِرت أنْ أعبُدَ الله مخلصاً له الدين﴾. [سورة الزمر، الآية: ١١].

وفي الحديث القدسي: «أنا أغنىٰ الشّركاء عن الشرك، من عَمِلَ عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه». رواه مسلم.

* والاتباع: هو معنىً من معاني شهادة أن محمداً رسول الله، بأن تكون العبادة مطابقة لما جاء به ﷺ، وكل عبادة مُحْدَثة مُخترعة لم يأتِ بها النبي ﷺ، فهي باطلة مردودة على صاحبها، ولو كان صاحبها مؤمناً مخلصاً، ففي الصحيحين يقول النبي، ﷺ: «من أحْدَثَ في أمْرِنَا هذا ماليس منه فهو ردٌّ». وفي صحيح مسلم عن جابر ـ رضي الله عنـه ـ أنّ النبي، ﷺ، كان يقول في خطبة الحاجة: «خير الهدي هدي

محمد، ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

أسأل الله ـ عز وجل ـ أنْ يرزقنا كمالَ الإيمانِ والإخلاصِ والاتباعِ، وأن يجعلنا من عباده الموحِّدين.

والحمد لله رب العالمين.

[كان الفراغ منه مع شروق شمس يوم السبت جمادىٰ الآخرة لسنة ١٤٠٣، من هجرة المصطفىٰ عليه أفضل الصلاة والسلام]

[ويليه ـ إن شاء الله تعالى ـ المصطلح الثاني.

«الدين»]

جمع من المصادر التالية :

١ - العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٢ - تفسير ابن كثير.
٣ - تفسير القرطبي .
٤ - كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، مع شروحه .
٥ - معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي .
٦ - لسان العرب .
٧ - أضواء البيان للشيخ الشنقيطي .
٨ - المصطلحات الأربعة للشيخ المودودي .
٩ - الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل بن هادي .

الجمع التصويري والإخراج - *الفرقان* ٤٠٢٩٨٦٥ - ٤٠٤٣٧٣٢

سلسلة كتاب

الطريق إلى الجنة

نبذة مختصرة عن أهم ما يجب أن يعلمه المسلم عن دينه

